

## شهرية السياسة الدولية

الرأسمالية في غرب أوروبا . والبريطانيون والأمريكيون يهاجمون السياسة الروسية بوسائلهم المعروفة لأنها فيما يرون تلقى الستار الحديدي على جزء من أوروبا في الشرق والجنوب والوسط ، ونجربى من وراء هذا الستار ألواناً من الأحداث ، يصفها البريطانيون والأمريكيون بأنها اعتداء على استقلال الأمم وازدراء لحرية الشعوب ، ويرى الروسيون أنها مجرد للأهم وتحقيق للحرية التي ينبغي أن يستمتع بها الانسان في هذا العصر الحديث الذي يجب أن يكون عصر الحق والعدل والمساواة .

والعالم يشهد هذا الصراع الكلامي ضيقاً به غير مستوثق من نتائجه ، مقدراً أن هذه الدول الكبرى تختصم فيما بينها بالكلام وأنواع الاعلان ، لأنها لا تستطيع أكثر من ذلك الآن ، وهي في أثناء ذلك تصلح من أمرها وتتيح لشعوبها أن تضمد ما أصابها من الجراحات في الحرب الماضية ، وتستعد استعداداً منكرراً لمستقبل قريب أو بعيد . ولكن العالم لا يقف موقف المتفرج الخائف الحذر الساخر فحسب ، وإنما يقف موقف الذى تصيبه آثار هذا الصراع وتأتأجه في حياته اليومية المباشرة . فالعالم منقسم بالفعل إلى مناطق نقوذ، تسيطر عليها الدول المنتصرة . وهذه المناطق نفسها هي موضوع النزاع وميدان الصراع ، فمن الطبيعي أن تتأثر مصالحها المباشرة بما يكون بين المنتصرين من تنافس وخصام .

ويكفى أن ننظر إلى المشكلة اليونانية مثلاً ، فكل فرد من أفراد الأمة اليونانية متأثر في حياته اليومية بهذا الصراع بين الفريقين

كان للسياسة العالمية في شهر نوفمبر مظهران متبايزان أحدهما مألوف قد شهده الناس منذ انتهت الحرب العالمية الأخيرة ، وهو هذا الصراع المتصل بين المنتصرين حول بسط السلطان والنفوذ . فالذى يشهده الناس من هذا الصراع هو بعينه الذى كانوا يشهدونه في الأشهر الماضية ، بل في العام الماضى أيضاً ، سواء اختلفت موضوعاته وأشكاله أم لم تختلف . فروسيا مثلاً مصرة على أن تصل إلى البحر الأبيض المتوسط ، وسيلها إلى ذلك هو الاشتراك في حماية المضائق . والبريطانيون والأمريكيون يشفقون من هذا الاتصال ويؤيدون تركيا التي تريد أن تحافظ على استقلالها وتأبى أن يشترك الروس معها في حماية هذه المضائق .

ولست هذه المسألة جديدة ، فهدنا بها بعيد ، ولكن الحديث فيها لا ينقضى ، وروسيا تسلك إلى حلها طرقاً مختلفة ، تلبين حيناً وتشتد حيناً ، ترسل المذكرات إلى تركيا مرة وإلى مؤيديها مرة أخرى ، بحيث صح ما يقال من أن روسيا تثير بهذه المشكلة حرب أعصاب مرهقة . والمهم هو أن هذه المشكلة لم تتقدم ولم تتأخر ، فما زالت روسيا تصر ، ومازال الآخرون يرفضون ، ومازال الصحف ورسائل البرق تفيض في هذا الرفض ، وذلك الاصرار .

وروسيا من ناحية أخرى تهاجم بوسائلها المعروفة في الراديو والصحف وفي الاجتماعات الدولية العامة كمؤتمر الصلح وهيئة الأمم المتحدة ، سياسة البريطانيين والأمريكيين التي ترمى إلى التوسع في بسط النفوذ في الشرق الأوسط ، وللتى ترمى إلى التكتل حول

## شهرية السياسة الدولية

الشعب التركي لشر عظيم فهو مضطر إلى أن يظل في حالة خوف وحذر واستعداد للطوارئ وإبقاء للجيش على أهبة الحرب ، وذلك يكلفه من المال أكثر مما يطيق . ويقال إن الميزانية التركية لم تبلغ قط من التضخم ما بلغتته هذا العام ، والفرد التركي هو الذي يمد الدولة بما تحتاج إليه من مال ، وهو يقتطع هذا من نفقات حياته اليومية .

فهذا المظهر المألوف من مظاهر السياسة العالمية ليس من شأنه أن يرضى الشعوب أو يردّها إلى الثقة والأمن والاستقرار . ومهما يكن هذا المظهر مألوفاً فإن استمرار البلاء واتصال المحن لا يغير من طبيعتها .

أما المظهر الثاني لهذه السياسة العالمية فقد مر به الناس مسرعين إلى حد ما ، مع أنه قد يكون أشد خطراً وأبعد أثراً في السياسة الدولية مما يظنون . وهو على كل حال سيزيد المظهر الأول قوة . وسيضعف ما في الصراع بين المنتصرين من عنف . فقد حدثت في شهر نوفمبر أحداث ثلاثة لها خطرهما حقاً .

الأول : نجاح الجمهوريين في انتخابات الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد كان الديمقراطيون يصارعون روسيا صراعاً شديداً عنيفاً مع أنهم حزب التقدم والليل القليل إلى التناحية اليسارية ، فكيف بالجمهوريين الذين هم أصحاب اليمين في الولايات المتحدة والمحافظون أشد المحافظة على تقاليد الاقتصاد الرأسمالي ، وعلى تقاليد التشدد في السياسة الخارجية ، وعلى تقاليد إقامة المنفعة المادية وحدها أساساً للحكم وأساساً للعلاقات السياسية الخارجية ! ليس من شك في أن انتصار الجمهوريين سيزيد الولايات المتحدة عنسداً في موقفها من روسيا ، وإصراراً على ما أظهرت من التشدد إلى الآن .

الثاني : انتصار الشيوعيين في الانتخابات الفرنسية . وما ينبغي أن نسرف في تقدير

المتحصنين من المنتصرين . وقد كان بعض الناس يظن أن الاستفتاء اليوناني حول نظام الحكم سيضع حداً للمأساة التي يشقى بها الشعب اليوناني ، فبين الآن في صراحة وجلاء أن الاستفتاء لم يضع حداً لشيء ، ولعله أن يكون قد بدأ مأساة أشد هولاً وترويعاً مما كان يجري قبل الاستفتاء ، فالحرب الأهلية ما زالت دائرة الرحا في بلاد اليونان وهي تزداد عنفاً من يوم إلى يوم . وكان الروس يطالبون في الدورة السابقة لهيئة الأمم المتحدة بحلّاء البريطانيين عن بلاد اليونان ، وما زال الجنود البريطانيون مقيمين فيها إلى أجل لا سبيل إلى تحديده بعد . ونحن نسلم الآن أن الحكومة اليونانية القائمة تريد أن تشكو إلى هيئة الأمم المتحدة من جيرانها الذين يؤلبون عليها ويعدون الثورة فيها بما تحتاج إليه من قوة ، وهؤلاء الجيران هم اليوغسلافيون والبلفاريون والألبانيون ، وهم كلهم خاضعون للنفوذ الروسي . ومعنى ذلك أن الشعب اليوناني العظيم الذي أبلى في الحرب بلاءه الرائع وكان خليقاً أن يظفر من المنتصرين بالعناية والرعاية والعطف ، يشقى الآن بما يقوم بين المنتصرين من اختلاف شقاء يعرض أبناءه للفقر والجوع والموت في كثير من الأحيان .

والقصة الإيرانية ليست خيراً من القصة اليونانية ، فلم تكذب إيران تفرغ من الحصومة بينها وبين روسيا وتستريح من مشكلة أفرييجان حتى ثارت الحصومة بينها وبين الانجليز ، ونشأت الاضطرابات والثورات في جنوبها بعد أن لم تكذب تهاداً في شمالها . ووقفت إيران هذا الموقف المؤلم الذي لا تجد فيه راحة ولا أمناً لأنها لا تستطيع أن ترضى الروس والانجليز معاً .

وحدث الشرق العربي أوضح وأبشع من أن نحتاج إلى ذكره فضلاً عن الاطالة فيه . وهذا الصراع نفسه بين المنتصرين يمرض

## شهرية السياسة الدولية

الأمريكيين ، وستقتضى ظروف الحياة نفسها أن يصبح التعاون بين المحافظين على ساحل المحيط الأطلنطي ضرورة محتومة لحماية المصالح الاقتصادية والسياسية البريطانية نفسها .

وأكبر الظن أن وقتاً طويلاً لن يمضي قبل أن يشترك المحافظون البريطانيون في الحكم على نحو ما . ذلك إذا لم تقتض الظروف حل مجلس العموم ليعيد الشعب البريطاني نظره في مركزه من السياسة العالمية ومن الاقتصاد العالمي .

على أن حزب العمال البريطاني قد منى بصدمة عنيفة حقاً من الناحية النظرية ، أو قل إن شئت من ناحية مبادئه وآرائه وقدرتها على الثبات فضلاً عن الانتشار . وهذه الهزيمة تأتيه من الانتخابين جميعاً . ففي فرنسا يهزم الاشتراكيون انهزاماً خطيراً ، وتزول بهذا الانهزام فكرة الكتلة الغربية التي كانت الاشتراكيون البريطانيون يحملون بتأليفها بين الأحزاب الاشتراكية في غرب أوروبا . وانتصار المحافظين في أمريكا يخرج مركز الاشتراكيين البريطانيين في بريطانيا وفي الخارج ، ويدفع هذا الحزب إلى إحدى اثنتين : فإما أن يتطرف إلى الشمال فيضحي ببعضه للشيوعيين ، وإما أن يتحاز إلى اليمين فيضحي بأساسه الاشتراكي نفسه . ونتيجة هذا كله أن الاشتراكية البريطانية ، بل الاشتراكية العالمية ، قد أصبحت الآن متأخرة بالقياس إلى التطور العالمي ، وستظل وقتاً طويلاً أو قصيراً مظهراً للتقصد والاعتدال بعد أن كانت إلى وقت قريب جداً مظهراً للتطرف والهلول .

أما الحدث الثالث الذي حدث في شهر نوفمبر وكان حدوثه صدمة ثالثة للاشتراكية البريطانية ، فهو هذه الثورة أو إن شئت فقل هذا التمرد الذي اندفع إليه عدد غير قليل من

الفوز الذي ظفر به الشيوعيون في هذه الانتخابات ، فهم لم يظفروا بالكثرة التي تمكنهم من الحكم وحدهم . ولو قد ظفروا بها لتغيرت سياسة العالم تغيراً أساسياً خطيراً ، بل هم لم يظفروا بالكثرة التي تمكنهم من أن يحكموا مؤتلفين مع الاشتراكيين . ولو قد ظفروا بها لكان من الممكن أن تتجه فرنسا وأوروبا الغربية معها اتجاهاً متلقاً إن لم يكن مزججاً .

ولكنهم مع ذلك قد ظفروا بكثرة تجعل حزبهم أكبر الأحزاب الفرنسية أعواماً متصلة ، ويتيح لهم أن يطالبوا برئاسة الحكومة ، وتمكنهم كذلك من أن يحولوا بين فرنسا وبين الاتجاه اليساري نحو اليمين ، وتمكنهم من أن يفرضوا على الحكومة الفرنسية المضي في الإصلاح الاجتماعي إلى أبعد مما مضى الفرنسيون منذ تم تحرير فرنسا .

فما أحدثه انتصار الجمهوريين في أمريكا من اندفاع نحو اليمين ، يلطفه ويخفف من حدته انتصار الشيوعيين في فرنسا ، ويمكن أن يقال إن ما تخسره روسيا بانتصار اليمين في أمريكا البعيدة يعوضه عليها انتصار الشمال في فرنسا .

فأما الدولة التي قد خسرت من هذين الانتخابين جميعاً فهي بريطانيا العظمى ، وهي قد خسرت دون تعويض . ذلك أن الحكومة القائمة في بريطانيا العظمى ليست محافظة يمكن أن تعترف بانتصار المحافظين الشيوعيين في فرنسا ، وإنما هي اشتراكية ، تخاف المحافظين أشد الخوف ، وتبغض الشيوعيين أشد البغض . فانتصار أولئك وهؤلاء يصف من مركزها في العالم كله وفي أوروبا الغربية بنوع خاص ، بل هو يصف من مركزها في بريطانيا العظمى نفسها ، فسيتمرر المحافظون البريطانيون بانتصار المحافظين

شهرية السياسة الدولية

المحافظين تحدياً صريحاً متصلاً ، وليس من القوة بحيث يستطيع أن يفرض النظام الدقيق على أعضائه فيضطرهم إلى أن يذعنوا لما تقرره الحكومة والهيئة الادارية . والحزب الاشتراكي البريطاني لا يملك ولا يريد أن يملك من وسائل النظام والمحافظة عليه ما يملكه الحزب الشيوعي من جهة والحزب المحافظ من جهة أخرى .

والذلك نستطيع أن نتق بأن هذا الترد ليس إلا أول النيث ، وبأن الحزب الاشتراكي قد يضطر في وقت قريب أو بعيد بحكم الظروف الداخلية والخارجية جميعاً إلى ان يشترك مع المحافظين في الحكم أو ينزل لهم عنه كارها .

أما أثر هذا في الحياة العالمية الآن فضئيل جداً لا يكاد يحسب له حساب . ولكن الشاعر العربي لم يخطئ حين قال :

مما يهيج له العظيم

طه حسين

النواب المال في مجلس العموم . وقد لاحظ الناس أن الحكومة البريطانية اهتمت لهذا الترد ، فأرادت أن تطرح الثقة ، وأن حزب المال اهتم له فأراد أن يعاقب المتمردين ، وأن المحافظين البريطانيين اهتموا له فأبدوا حكمة المال عند الاقتراع . وقد سرت هذه العاصفة دون ان تسقط الوزارة البريطانية . فظن الناس أنها سرت بسلام ، والواقع أنها بعيدة عن هذا كل البعد . فهي قد أحدثت صدعا خطيراً في حرب المال ، وأثبتت أولاً أن فريقاً من هذا الحزب يضيقون بالسياسة الخارجية التي تناهض اليسارية الروسية ، وأثبتت ثانياً أن في هذا الحزب فريقاً يخافون على المبادئ الاشتراكية نفسها أن تفقد قيمتها وقوتها بالانحياز أو التعجب إلى المحافظين ، وأثبت آخر الأمر أن الحزب الاشتراكي البريطاني ليس من القوة بحيث يستطيع أن يتحدى

إن الأمور دقيقتها